الحاضرة الرابعة

الوحدة رقم4: التنظيم العسكري البيزنطي لبلاد المغرب القديم

1. **النَظم الدفاعية الرومانية قبيل الاحتلال البيزنطي**
2. **التنظيم العسكري لبلاد المغرب في عهد جوستينيان وخلفائه**
3. **الجيش البيزنطي في بلاد المغرب القيادة والتركيب**

أ- تشكل الجيش البيزنطي

ب- القيادة العسكرية

ج- الفوضى العسكرية في الجيش البيزنطي

4- النظام العسكري البيزنطي في عهد خلفاء جوستينيان

5- منصب الإكسرخس/ الأرخون (Exarchat) في المغرب القديم

عرفت بلاد المغرب تغيَرات في الخريطة الإدارية بعد الاحتلال البيزنطي للمنطقة وصورة ذلك هو اهتمام السلطة البيزنطية كثيرا بالإدارة العسكرية، وإعادة تنظيم الجيش البيزنطي من اجل ضمان استتاب الأمن والاستقرار في الأقاليم التي تم التوسع فيها، ومواجهة مختلف ردود الأفعال المحلية والثورات التي تقوم بها القبائل المورية .

ولقد عمل الإمبراطور جوستينيان منذ البداية على محاولة السيطرة على الأوضاع الأمنية في المنطقة، حيث أمر بتنظيم بلاد المغرب وتقسيمه إلى مناطق عسكرية، ومنح السلطة العسكرية امتيازات وموارد مالية هائلة، وأمر بإنشاء مراكز دفاعية في كامل المناطق المسيطر عليها، والتصدي لثورات القبائل المورية .

غير أنَ النَظام الإداري العسكري سيعرف تغيير وهيكلة دفاعية جديدة في عهد خلفاء جوستينيان، وذلك يعود ربما إلى فشل السياسة العسكرية البيزنطية وعدم نجاعتها في السيطرة على المناطق الداخلية التي تم التوسع فيها من الثورات والهجمات المورية المتكررة على المنشآت والمدن البيزنطية، حيث ستعرف الهيكلة العسكرية مناصب ومهام جديدة وكَلت إلى القادة العسكريين .

وأمام الثورات المورية ورد فعل السكان المحليين وعدم استقرار الأوضاع الأمنية، ستقوم الإدارة البيزنطية بإنفاق أموال كبيرة أدَت إلى إفلاس الخزينة البيزنطية، وانعكست سلبا على الحياة السياسية والاقتصادية في بيزنطا وبلاد المغرب، وهذا كله بسبب الثورات المورية الكثيرة على الجيوش والمراكز العسكرية والمدن البيزنطية وما تكبَدته من خسائر مادية وبشرية انعكست سلبا على المجتمع البيزنطي، ولا تزال آثار المنشآت العسكرية البيزنطية باقية مجسَدة في كثير من المناطق في بلاد المغرب إلى اليوم، الأمر الذي يوحي بأهداف واهتمامات الإمبراطورية البيزنطية بمقاطعة بلاد المغرب، وأهمية المنطقة في اقتصاد بيزنطا، حيث خصَصت لها أموال طائلة لإحكام السيطرة عليها وعدم الانسحاب منها أمام الثورات المورية المتزايد في كامل المنطقة، حيث سنحاول في هذا الفصل دراسة السياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب القديم

I. النَظم الدفاعية الرومانية قبيل الاحتلال البيزنطي:

اقتصرت السياسة العسكرية الرومانية في بلاد المغرب منذ بدايتها على إخماد الثورات والتصدي للقبائل المورية الداخلية التي كانت تشكل خطرا على الأهداف الاستعمارية الرومانية، حيث لم تتوقف هذه الحملات النوميدية طيلة فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، وتواصلت هذه السياسة العسكرية لمواجهة كل أخطار القبائل الجيتولية في الجنوب والى غاية إقليم فزان بليبيا وقبائل الجارمنت في الغرب من إقليم فزان وقبائل جنوب موريطانيا وقبائل الناسامون في خليج السرت .

كما استمرت السياسة القمعية الرومانية طيلة الثلاث قرون الأولى من الاحتلال وإلى غاية عهد الإمبراطور دقليديانوس الذي أحدث تغييرات في التنظيم الإداري والعسكري، من خلال الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية والحد من سلطة القادة العسكريين في ولايات الإمبراطورية وذلك لتفادي الفوضى العسكرية، والاعتماد في تنظيم الجيش على الفرق الخفيفة السريعة التنقل والحركة استعدادا لأيَ هجوم مرتقب من السكان المحليين مدعما في ذلك بجيش الحدود (Limitanae) .

وبعد سقوط النظام الروماني في بلاد المغرب لم تكن هناك سياسة عسكرية واضحة في الفترة الوندالية، لأن سياسة الوندال منذ البداية ارتكزت في السيطرة على المناطق الساحلية الشرقية من المغرب القديم دون غيرها، و المناطق الغربية والداخلية أصبحت تحت سيطرة القبائل المورية، ويمكن القول أن كل المناطق والمدن العسكرية التي كانت رومانية أصبحت بعد سقوط روما تابعة وتحت سيطرة القبائل المورية التي كانت تجمعهم بالسلطة الوندالية علاقات سلم وتعاون في بداية الأمر بسبب التحالفات المبرمة بين الطرفين للقضاء على الرومان.

لم يواصل الوندال بعد سيطرتهم على المناطق الشرقية من بلاد المغرب سياسة روما العسكرية التي كانت مطبقة في المنطقة، بل إنَ سياسة الوندال العسكرية تختلف تماما عن سياسة روما العسكرية، وارتكزت السياسة الوندالية على إبقاء الأنظمة الإدارية الرومانية القديمة المطبقة بين السكان واكتفت السلطة الوندالية بالمراقبة وجمع الضرائب.

وقد اعتمد الملك جنسريق كثيرا على القبائل المورية في حملاته العسكرية البحرية في المتوسط وعلى روما سنة 455م ، الأمر الذي يؤكَد طبيعة العلاقات المورية الوندالية السلمية، وبهذه السياسة السلمية لم يحتاج جنسريق لجيش كبير التعداد ليواجه به الأخطار الخارجية خاصة وأنه استطاع التحالف مع أقوى القبائل المورية في المنطقة .

وعملت السلطة الوندالية على تدمير الحصون وأسوار المدن واستباحتها ماعدا تلك التي في قرطاج، وتم اعتماد هذه الإستراتيجية ربَما حتى لا تتمكن القبائل المورية أو القبائل الموالية لروما من الاستعانة بهذه الحصون والمدن والتمرد على السلطة الوندالية ، وتظهر هذه السياسة العسكرية الوندالية مع الحملة التي قادها بليزار على المنطقة، حيث يذكر بروكوب في كتابه تاريخ الحروب أن بلاد المغرب لم يبق فيها مدينة واحدة مسوَرة أي محاطة بالأسوار ماعدا قرطاج التي احتفظ بها جنسريق .

ويمكن القول أن السياسة الوندالية في بلاد المغرب ركَزت على التحالف واستمالة العنصر المحلي وبقايا الرومان والمترومنين، لذلك لم تكن بحاجة كبيرة للمنشآت الرومانية القديمة، حيث اكتفت بالمنشآت التي بناها الرومان وهو ما يؤكده عدم وجود منشآت عسكرية وندالية في بلاد المغرب، الأمر الذي ربَما سهَل من سقوط الوندال في أول حملة قادها جوستينيان وقائده بليزار على بلاد المغرب سنة 533م .

II. التنظيم العسكري لبلاد المغرب في عهد جوستينيان وخلفائه :

أوَل ما أمر الإمبراطور جوستينيان القيام به بعد القضاء على الوندال هو: تقسيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا، حيث شرع في تجسيد سياسته الاستيطانية ببناء المنشآت الدفاعية من أسوار وحصون وقلاع في المناطق الشمالية التي تم السيطرة عليها، وأمر القائد صولومون بأن يكون حريصا على إقامة وترميم المنشآت الدفاعية وذلك خوفا من الثورات المورية على المدن والمناطق التي تم إخضاعها والسيطرة عليها ، واعتمدت هذه السياسة العسكرية في المغرب للتَقليل من عدد الجنود ولتفادي الأعباء المالية التي تكبَدها الجيوش جراء الاحتياجات والعتاد من سلاح ولباس ومؤوى...إلخ .

وما يؤكد الإستراتيجية العسكرية البيزنطية هي النقوش الإهدائية التي وجدت في "هنشير القصر" بالقرب من عين فكرون والتي يعتقد أنها ترجع إلى سنة 439 أو 440م أي السنة الثالثة عشر أو الرابعة عشر من تاريخ اعتلاء الإمبراطور جوستينيان عرش بيزنطا، وهي من إنجازات القائد البيزنطي صولومون ببلاد المغرب ، تظهر النقيشة العدد الكبير للمنشآت الدفاعية في المنطقة والهدف من هذه المنشآت في هنشير القصر هو سهولة مراقبة الطريق الرابط بين الجنوب الغربي للحضنة المتجه إلى البروقنصلية، والطريق الرابط بين تبسة وسيرتا .

و يشمل الخط الدفاعي البيزنطي كل من مقاطعة طرابلس والبيزاكينا ونوميديا، و الغرض من ذلك هو التصدي للهجمات المورية، وقد ركَزت بيزنطا كثيرا على سياسة التحصين وبناء المنشآت العسكرية بالاعتماد على المخلَفات المادية الرومانية، حيث حلَت القلاع والحصون محلَ المدن والطرق الرومانية القديمة، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد أن المخرَب والمدمَر الحقيقي للمنشآت الرومانية في بلاد المغرب القديم هم البيزنطيين وليس الوندال أو المور كما يزعم بروكوب .

نجد الحصون والمدن المحصنة التي أعاد الإمبراطور جوستينيان إحياءها وترميمها كثيرة في بلاد المغرب، فقد تم إحصاء ثمانية مواقع عسكرية شيَدت بشكل رسمي وأربعة أخرى محتملة، قد لا يضفى عليها الطابع الرسمي، والآلاف من المنشآت الدفاعية الصغيرة، في حين تم إحصاء عدد المدن والتي تم بناءها أو ترميمها في عهد جوستينيان هي ثمان وعشرون مدينة، والعدد الأكثر منها شيَد في فترة صولومون الثانية أي ما بين 539-544م، مثل : كاب فادا (Caput Vada) ، سوسة ، قفصة ....الخ، وهي أيضا عبارة عن خطوط دفاعية بيزنطية.

ومن أهم آثار لاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب هو تلك للمنشآت الدفاعية على طول المناطق التي استطاع الإمبراطور جوستينيان إخضاعها، والتي مازالت تحافظ على أشكالها إلى اليوم، الأمر الذي يوحي بالاهتمام الكبير للجانب العسكري في بداية الاحتلال البيزنطي للمغرب القديم والسياسة الدفاعية في السيطرة، وهو ما كلف السلطة البيزنطية أموالا كبيرة لإقامة أو ترميم مثل هذه المنشآت الضَخمة.

تكلمت المصادر المعاصرة للاحتلال البيزنطي مثل بروكوب على المنشآت العسكرية الضخمة التي أنشأها الإمبراطور جوستينيان، كما تكلَمت على الجيوش البيزنطية وأشهر قادتها وتركيبها وتقسيمها وأهم المناطق العسكرية، حيث كان قرار إنشاء مراكز دفاعية في كامل بلاد المغرب القرار الثاني الذي اتخذه الإمبراطور جوستينيان بعد قرار الحملة على الوندال ، وقد لا نكاد نجد مدينة أو منطقة تم إخضاعها للسلطة البيزنطية خالية من أسوار أو مراكز دفاعية بيزنطية وهذا بهدف تأمين المدن وتحقيق السيطرة .

كذلك يمكن الاعتماد على القرارات والقوانين التي كانت تصدر من الإمبراطور، والتي بعث بها إلى القادة العسكريين في بلاد المغرب، وفيها كيفية تقسيم المنطقة إلى وحدات وأقاليم عسكرية والسهر على إنشاء المراكز والمنشآت العسكرية في المناطق الثائرة، وهو ما عمل القائد صولومون على تجسيده، لأنَ أغلب المنشآت العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب كانت في عهد صولومون 539-544م وربما كانت منشآت قبل ذلك أي مع بداية الاحتلال 534م، لكنها كانت قليلة مقارنة بالمنشآت التي أنشأت في فترة صولومون الثانية، وقد كلَفت الخزينة البيزنطية أموالا كثيرة انعكست سلبا على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في بيزنطا وبلاد المغرب.

يظهر التقسيم العسكري لبلاد المغرب في الرسالة التي بعث بها الإمبراطور جوستينيان إلى القائد الأعلى للجيش البيزنطي بليزاريوس سنة 534م بعد أن وصله خبر نجاح الحملة والقضاء على الوندال، جاء فيها تأكيد منصب الدوق (Duc) كقائد للجيش في المقاطعة التي ينتمي إليها، و إقامة خمسة أدواق، أربعة منها في بلاد المغرب ودوقا واحدا في جزيرة سردينيا، حيث وضع دوقا في المقاطعة الطرابلسية ومقرَه في لبدة الكبرى (Leptis Magna) ، ودوقا في مقاطعة البيزاكينا ومقرَه في قفصة (Capsa) وتيلابت(Telepte) ، ودوقا في مقاطعة نوميديا ومقرَه في سيرتا(Cirta) ، ودوقا لمقاطعة موريطانيا ومقرَه في قيصارية، وأمر الإمبراطور في هذا المرسوم كلَ الأدواق على مد النفوذ والتوسع في الداخل إلى غاية حدود روما القديمة، والسهر ليلا ونهارا للقضاء على الثورات والحروب التي تقوم بها القبائل المورية فهي الخطر الحقيقي على المصالح والمكاسب البيزنطية في بلاد المغرب .

وكان الدوق حسب بعض المؤرخين يخضع مباشرة لسلطة الإمبراطور في بيزنطا مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، لعدم وجود منصب القائد الأعلى للجيش، وهي سياسة لم تظهر إلاَ عند نشأة منصب الأرخون في عهد الإمبراطور موريس، وكانت مهمة الدوق قيادة الجيوش التابعة لمقاطعته والسَهر على حماية الحدود، وقد يتغير مقر الدوق حسب الظروف الأمنية، فنجد مثلا: دوق البيزاكينا له مقرَين في قفصة تارة وفي تلابت تارة أخرى .

ونفهم من المصادر أن السياسة العسكرية للإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب اعتمدت منذ البداية على إقامة القلاع والحصون والمنشآت العسكرية كإستراتيجية لتجسيد الاحتلال والتصدي للثورات المورية ، يذكر بروكوب في ذلك فيقول: « إذا كتبنا لائحة بالحصون التي أقامها الإمبراطور جوستينيان أمام رجال سكنوا أرضا بعيدة وغير قادرين على أن يقيموا بأعينهم الحجة على ما نقول فإن كثير هذه البنايات بالتأكيد تظهر حكايتها وكأنها خرافية وغير صادقة » فقد حاول بروكوب في هذا القول ذكر العدد الهائل من البنايات والمنشآت التي أقامها الإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب القديم والتي لا يمكن إحصائها حسبه .

ويضيف فيقول: « والحقَ أنَ كل مكان بسواحل البحر وبسفوح الجبال في الحضنة الموحشة ووسط السهول الجدباء بالمناطق العليا بنوميديا وفي براري قرطاج فإن بقايا القلاع القوية لتشهد على النَشاط العجيب الذي بذله الإمبراطور العظيم جوستينيان » .

وخلاصة القول أن السياسة البيزنطية في المغرب القديم عموما وسياسة الإمبراطور جوستينيان خصوصا اعتمدت على المنشآت الدفاعية بدل العامل البشري في حشد الجيوش، رغم ما تتطلبه هذه المنشآت من إمكانيات مادية ومالية كبيرة، وهو ما تؤكده كثرة المنشآت الدفاعية البيزنطية في بلاد المغرب خاصة في مقاطعة البيزاكينا ونوميديا مثل ما هو موجود في كل من حيدرة ، تيمقاد وتبسة ....الخ.

III. الجيش البيزنطي في بلاد المغرب القيادة والتركيب :

كانت من أولويات الإمبراطور جوستينيان تكوين جيش قوي يعتمد عليه في إرساء الأمن والاستقرار في الإمبراطورية البيزنطية عموما وبلاد المغرب خصوصا، حيث سخَر لذلك كل الإمكانيات المادية والبشرية اللاَزمة، لكن الأوضاع الأمنية التي كانت تعيشها لإمبراطورية في الشرق والحروب الكثيرة ضد الفرس حتَمت على بيزنطا الاعتماد على جيوش غير لاتينية تكون تحت قيادة زعمائها أو تحت راية قائد بيزنطي .

حيث وضع الإمبراطور جوستنيان الخطوط العريضة للهيئة العسكرية ببلاد المغرب في المرسوم الذي أصدره سنة 534م ، وقد تخلَى بموجبه على بعض الوظائف التي كانت في الفترة الرومانية مثل: منصب بروقنصل والكونت وأدخل منصب الدوق ومهمَته حراسة الحدود، كما أوجد منصب قائد أركان الجيش ومركزه في العاصمة قرطاج .

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى الجيش البيزنطي في بلاد المغرب عموما، حيث سنحاول معرفة تعداد هذه الجيوش وأهم قادتها، وتركيبها وتنظيمها وكذا الإستراتيجية القتالية للجيوش البيزنطية في المنطقة، وأهم الصعوبات والتمردات والثورات التي واجهت السياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب :

أ- تشكل الجيش البيزنطي:

عرفت السياسة العسكرية للجيش البيزنطي في فترة حكم الإمبراطور جوستنيان تغييرا كبيرا من حيث التعداد التنظيم والتركيب ، حتى وإن بقيت الركيزة الأساسية للجيش مستمرة منذ عهد الإمبراطور ديقلديانوس (Déclidianus) وقسطنطين (Constantine)، ورغم الطموح الكبير الذي كان الإمبراطور جوستنيان يطمح إلى تحقيقه باسترجاع أراضي الإمبراطورية الرومانية الضائعة، فإنه لم يستطع تجنيد العدد الكبير الذي كان يريد تجنيده.

هذا وحسب سليم دريسي نقلا عن أغاثياس (Aghatias) أن الإمبراطور جوستنيان كان ينوي تجنيد 645000 جندي لكن ذلك لم يتحقق فقد أستطاع تجنيد 150000 جندي فقط ، وإذا ما قارنا عدد الجنود في الجيش البيزنطي بطموحات وآمال الإمبراطور في استرجاع الأقاليم الرومانية القديمة فإن هذا العدد كان قليل مقارنة بالمساحة الكبيرة التي كانت تحتلها الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستنيان.

ويبق عدد الجيش البيزنطي في بلاد المغرب في ظل سكوت المصادر التاريخية مجهولا، يمكن تقديره من الإشارات التي توحي بإرسال الإمبراطور جوستينيان للإمدادات العسكرية بعد نجاح الحملة بقيادة بليزار الذي كان معه قرابة ثمانية عشر ألف جندي، خاصة الإمدادات التي تحصل عليها كل من صولومون وجون تروقيليتا لمواجهة ثورات القبائل المورية مابين 539-548م، لأن العدد الذي كان مع بليزار مع بداية الحملة لا يكفي لتحقيق أطماع الإمبراطور في الوصول إلى الحدود التي كانت تسيطر عليها روما القديمة، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد أن بلاد المغرب عرفت توافد جيوش أخرى فيما بعد لتغطية الحدود والمدن والمقاطعات التي تم السيطرة عليها، كما تم الاستعانة بالقبائل المورية الحليفة للحفاظ على الأمن والاستقرار خاصة في النصف الأول من القرن السادس الميلادي .

وقد اعتمد الإمبراطور جوستنيان وبشكل كبير في تكوين الجيش على الفرسان الذين يمتطون الخيل والمحمَلة بالعتاد الحربي الثقيل، تسمى هذه الفئة من الفرسان ب" الخيَالة الواقية" ، والذي يحمل فيها الفارس الرَمح والسَيف والبعض يحمل القوس، أما الفئة الثانية من الفرسان تدعى "الخيالة الخفيفة" والتي تحمل النبال.

أمَا المشاة فقد كانوا مقسَمين إلى فيالق عسكرية تتكون من 1200 جندي، ولهم دروع وسيوف طويلة ويلبسون الخوذة، ويمكن تقسيمهم أيضا إلى صنفين: "المشاة الثقيلة" وهم من يلبس الدروع ويحملون الرماح والسيوف والتروس ويلبسون الخوذة على رؤوسهم ويسيرون في الصفوف الأولى في المعارك، والقسم الثاني "المشاة الخفيفة" الذين يحملون القوس الترس الصغير والرمح ويضعون الدروع على أبدأنهم وأرجلهم والخوذة على الرأس .

كما كان يتكون الجيش البيزنطي ببلاد المغرب من عدد كبير من القبائل المورية والتي قد تصل من ستون إلى خمسة وسبعون بالمائة من العدد الإجمالي للجيش البيزنطي بالمغرب القديم، وكان ذلك مقابل اعتراف بيزنطا بسلطة الملوك المور الذين كانوا حلفاءا لها، الأمر الذي تطلب أموالا كبيرة للتَجنيد والحفاظ على السلم، وهو ما أدَى إلى إفلاس الخزينة، وكذا عملية البناء الواسعة للمنشآت العسكرية التي كلَفت الكثير .

كما تمَ الاعتماد على جنود مرتزقة من جنسيات مختلفة(هون، لومبارديون ...وغيرهم) ، ويكون التجنيد بالتطوع أو بالاعتماد على المرتزقة الذين يحاربون تحت سلطة زعيمهم أو تحت سلطة قائد بيزنطي، وهو ما دفع البعض من المؤرخين إلى الاعتقاد والتفكير في أن هذا الأمر من بين أسباب ضعف الجيش البيزنطي في تحقيق أهدافه التوسعية الاستيطانية، لكون هؤلاء الجنود المرتزقة يفتقرون للثقافة والأصول والمبادئ البيزنطية، الأمر الذي يجعلهم يقاومون لأهداف مادَية وأغراض شخصية دون الحرص على تحقيق أسباب الانتصار، وهو الأمر الذي أدَى إلى الضَعف، و نجد الكثير من هؤلاء كانوا مجندين في صفوف القائدين بليزاريوس وصولومون أثناء توسعاتهم في المناطق الداخلية لبلاد المغرب.

وقد أحدث الإمبراطور جوستنيان تغييرا في تنظيم الجيش البيزنطي، فنجد أن الفيالق العسكرية والوحدات المساعدة (Auxillia) والأجنحة (Alae) والكتيبة أصبحت غير موجودة في الجيش البيزنطي، واستبدلت بوحدات عسكرية جديدة سمَيت بالسَّرِية (Numeri) تتكون من ثلاث مائة إلى خمس مائة جندي، وقد قسّم الإمبراطور الجيش إلى قسمين: جيش ثابت ويسمى ***جيش الحدود*** مهمته حراسة خطوط الليمس ، و جيش متحرك يسمى ***جيش الرديف*** يستقر في المدن الحضرية، يمثل الجيش الاحتياطي يدعم جيش الحدود عند الحاجة .

- جيش الرديف -الجيش المتحرك- (Comitatenses) :

وهو الجيش المتحرك كان تحت قيادة قائد أركان الجيش أو تحت قادة ساميين تابعين لسلطة الدوق، وكان يضم جيش الرديف كلَ المرتزقة الذين كان لهم دور كبير في الحرب ضد الوندال، وكان تحت سلطة قائد أركان الجيش ما يقارب ألفين جندي من هذا الصنف، كذلك يوجد بجيش الرديف القوات الحالفة(Foederatii) .

ويمكن تقسيم جيش الرديف من حيث المهام الوظيفية في عهد الإمبراطور جوستنيان إلى ثلاث أقسام:

1/ المحاربون: سواءا كانوا فرسانا أو مشاة، وكان الفرسان في الفترة البيزنطية يتم الاعتماد عليهم بشكل كبير في الحروب مقارنة بالمشاة، على عكس ما كان سائدا في الإمبراطورية الرومانية، التي كانت تعتمد على المشاة بصفة أكبر من الفرسان والتي كانت فئة قليلة في الجيش الروماني.

2/ الخدم: هم عناصر مهمتها خدمة الفرسان وكان لكل فرقة من الفرسان خدم خاص بها.

3/ العمال : وهم الذين يصنعون الأدوات العسكرية فنجد النَجار والحدَاد وصانع الأسلحة، فكل واحد منهم يساهم في صنع الأدوات الحربية من عربات، سيوف...وغيرها.

وفيما يخص العتاد الحربي البيزنطي فنجد عند الفرسان أدوات وأسلحة ثقيلة، ذلك للدور الذي تلعبه في الحروب وفي المهام المسندة إليها، فنجد الفارس مسلح بالسيف والترس والقوس والكنانة والرمح، أما الخيل فقد كانت على عاتق الفارس وهو من يسهر على تدريبه وتجهيزه للحروب، وكان كل فارس يملك اثنين من الخيول، أمَا المشاة فمنهم من يلبس الدروع ويحمل الرمح والسيف والترس وعلى رؤوسهم توجد خوذة ، وهناك صنف آخر من المشاة أقل ثقلا من المشاة الأولى فهم يحملون الرمح والقوس والكنانة والترس الصغير.

- قوات الحدود (Limitanei) :

وهو الجيش المستقر في الحدود تحت قيادة الدوق، مهمة جيش الحدود حماية الأراضي التي سيطر عليها البيزنطيون في بلاد المغرب وحراسة خط الليمس والتدخل في الضَرورة لمساعدة جيش الرديف خلال الهجمات المورية على المواقع والمدن البيزنطية.

وقد تتحصَل قوات الحدود على ملكيات وأراضي زراعية بجوار خط الليمس ومقابل ذلك يشترط عليهم التجنيد مدى الحياة، وينتقل الإرث من الآباء إلى الأبناء، و تكون هذه الأراضي معفاة من الضرائب، يفوق عدد قوات الحدود عدد قوات الرديف، وباعتماد الإمبراطور جوستنيان على قوات الحدود في إرساء الأمن العسكري والاقتصادي في المنطقة التابعة لها فقد مكّنت هذه السياسة من إرساء الأمن دون الاستعانة بالجيش النَظامي.

كذلك ومن العناصر التي كان يتشكل منها الجيش البيزنطي، العنصر الوندالي الذي كان في جيش الملك الوندالي جليمار(Gélmaire) ، ودليل ذلك أنَ الإمبراطور جوستنيان قد أرسل خمسة سرايا من هذه العناصر إلى الشرق لضمان استقرار الحدود الشرقية وصد هجمات الفرس.

ولم تكن مهمة جيش الحدود مقتصرة فقط على الدفاع العسكري وإرساء الأمن بل كان له دورا آخر تمثل في التطور والنمو الاقتصادي، ذلك أن الجيش كان يستغل ملكياته بفلاحتها ويكون بذلك قد أدى دورين أمني واقتصادي.

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك من القبائل المورية من هو موال للسلطة البيزنطية، حيث تعاون الدوق مع رؤساء القبائل المورية وتم تجنيد عدد كبير منهم في الجيش البيزنطي، حيث شكل العنصر الموري الأغلبية في الجيش البيزنطي، ذلك للدور الكبير الذي تلعبه العناصر المورية في الحروب، نذكر على سبيل المثال: الملك كوتزينا (Coutzina) قائد العناصر القاطنة بالأوراس فقد تقلد سنة 548م وسام أرخون الموريين وقد ترأس فرقة عسكرية كبيرة تتألف من موريين وبيزنطيين.

وكانت هذه السياسة -سياسة تجنيد الموريين في الجيوش البيزنطية- سياسة قام بها في البداية القائد صولومون، حيث اعتمد عليهم كثيرا في إخماد الثورات المورية التي كانت في الأوراس، كما استعان بهم القائد جون تروقليتا (Jean Trogilita) ضد قبائل لواتة، كما تم الاعتماد عليهم أيضا في صد حملات المسلمين على بلاد المغرب القديم.

لقد استطاع الإمبراطور جوستينيان أن يحقق الأمن والاستقرار في بلاد المغرب في فترات كثيرة من عهده، ذلك لسياسته العسكرية ضد الموريين والتحالف معهم وعدم إثارتهم، كما نظم الجيش تنظيما محكما وقسَمه إلى جيش مستقر وآخر متحرك و عزَزه ببناء الحصون والقلاع ووضع بينها حاميات عسكرية في المناطق التي سيطر عليها الجيش البيزنطي، وبفضل هذه السياسة فقد حقق بعض من الأمن رغم الهجمات المورية المتكررة و التي لم تتوقف أبدا إلى غاية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

ب-القيادة العسكرية:

عمل الإمبراطور جوستينيان منذ بداية الاحتلال على محاولة السيطرة على الأوضاع الأمنية بعد القضاء على الوندال، وذلك من خلال إتَباع إستراتيجية عسكرية تمثلت في توزيع وحدات الجيش البيزنطي في كامل بلاد المغرب، ووضع على رأسها قيادة قوية منها القائد الأعلى للجيش وقادة الولايات أو المقاطعات العسكرية وهم الادواق، ومحاولة استمالة قادة القبائل المورية، وفيما يلي لمحة عن أهم المناصب العسكرية البيزنطية للجيش البيزنطي في بلاد المغرب :

1- القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب (Magister Militum Africae) :

هو منصب حسَاس في بلاد المغرب، لأنه يمثل السلطة العسكرية الكبرى في المنطقة وفي الإمبراطورية البيزنطية، و كان مقرَ القائد الأعلى للجيش في العاصمة قرطاج، وله الاستقلالية التَامة في تسيير الشؤون العسكرية في المقاطعات، ومهمته إحلال الأمن والاستقرار والحفاظ على المنشآت والبنايات العسكرية في المقاطعات، حيث كان تحت سلطته كل الأدواق الأربعة الموجودين في بلاد المغرب، اللذين كان تحت سلطتهم الفرسان والمشاة والمرتزقة .

وأول ما وضع هذا المنصب (القائد الأعلى للجيش) في تاريخ المؤسسات الرومانية، كان في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين (Costantine) ، حيث قام هذا الأخير بتقليص مهام الحاكم العام وتجريده من اختصاصاته العسكرية وإيجاد منصب القائد العسكري الأعلى الذي تولى الشؤون والمهام العسكرية التي كانت موكلة للحاكم العام في بلاد المغرب، وكان تحت سلطته أيضا قائدين عسكريين للجيش يعملان تحت سلطة الإمبراطور مباشرة مهمَتهم التكفل بالشَؤون العسكرية لعموم الإمبراطورية هما :

- القائد الأعلى للفرسان يشرف على كتائب الفرسان
- القائد الأعلى للمشاة يشرف على كتائب المشاة

وقد بلغ عدد القادة الكبار العسكريين في الإمبراطورية البيزنطية مع مطلع القرن الخامس ميلادي ثمانية قادة، ثلاثة في الغرب وخمسة في الشرق، الأمر الذي دفع بالإمبراطور جوستينيان عند وصوله للحكم التَقليل من عدد القادة والحد من صلاحياتهم، لأنهم يتحكمون في مناطق شاسعة جدا، خصوصا القائد الأعلى للجيش في الشرق، حيث يتحكم هذا الأخير في المناطق الممتدة من المتوسط إلى الفرات ومن جبال أرمينيا إلى بلاد النوبة، وقد عين الإمبراطور جوستينيان قائد عسكري خاص بأرمينيا وأخر ببلاد مابين النهرين، أما في الغرب فهناك قادة ثلاث في كل من إيطاليا إفريقيا إسبانيا .

أوَل من تقلَد منصب القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب في فترة الاحتلال البيزنطي هو القائد صولومون (Solomone) في عهد الإمبراطور جوستينيان، ولم يكن بليزار أوَل من تقلَد المنصب حسب بعض المؤرخين لأنَ مهمة هذا الأخير كانت قيادة الحملة ضد الوندال، وانتهت مهمته بنهاية الوندال والقضاء عليهم، لأن القائد بليزاريوس كان القائد الأعلى للجيش في الشرق، وبمجرد نجاح الحملة رجع إلى الشرق إلى بيزنطا وتم تعيين حاكم عام وهو صولومون .

لكنَ السؤال المطروح: هل عرفت بلاد المغرب هذا المنصب أم لا ؟ و إن وجد هذا المنصب هل كان مع بداية الحملة وفي السنوات الأولى من الاحتلال البيزنطي للمنطقة أم كان فيما بعد ؟

حسب دورليا (Durliat) فان منصب القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب منصب مستحدث ولم يكن موجودا قبل سنة 570م أي في فترة الإمبراطور جوستينيان، وهو ما يذهب إليه دريسي سليم أيضا حسب الكتابات الموجودة في عين القصر وخنشلة، والتي تذكر أنَ القائد غينياديوس (Ghinadius) كان قائدا لأركان الجيش في الفترة الممتدة مابين 578-582م، وهو أوَل من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب، ما يدل على أنَ هذا المنصب لم يكن موجودا في فترة حكم الإمبراطور جوستينيان .

وحسب مارتيندال (Martindale John) أن هذا المنصب كان موجود سنة 546م بداية من القائد أرتابان (Artabane) ، أما شارل ديل (Dhiel Ch) فيقرَ أنَ أول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب هو القائد صولومون الذي خلف بليزار مباشرة بعد نجاح الحملة على الوندال سنة 534م، ويمكن أن يكون صولومون تقلَد المسؤوليتين الإدارية والعسكرية في آن واحد خاصة عندما تكون الأوضاع الأمنية متوترة.

وهناك من يذكر أنَ أوَل من تقلَد هذا المنصب في بلاد المغرب هو القائد بليزاريوس ، لكن هذه الفكرة مستبعد جدا لأن هذا الأخير كان قائدا أعلى لجيوش الشرق ومهمته في بلاد المغرب تنتهي بالقضاء على الوندال، ليرجع بعد ذلك إلى منصبه في الشرق وقيادة الجيوش في الإمبراطورية البيزنطية .

و ما يمكن قوله في هذا الجانب أن المصادر الكلاسيكية المتوفرة بين أيدينا لم تكن دليلا قويا على وجود منصب القائد الأعلى للجيش ببلاد المغرب، الذي يعتبر المنسق العام لإدارة الجيش والمشرف على سياسة الأدواق العسكريين في المنطقة وفي الولايات التابعين لها، وأمام الظروف الصعبة وكثرة الحروب المورية كان الإمبراطور جوستينيان يرسل بعض القادة العسكريين للقيام بمهمة محدَدة، أو إخماد الثورات والقضاء عليها وهو ما نجده مع القائد جون تروقيليتا (Jean Trokilita) وأرتبان (Artabane) وغيرهم، ثم يرجع بعد ذلك إلى منصبه في الإمبراطورية في الشرق.

وقد توكَل المهام العسكرية للحاكم العام، كما كان في عهد القائد صولومون، فقد جمع هذا الأخير بين السلطتين الإدارية والعسكرية حيث لم يكن لهؤلاء القادة جيشا يرأسونه ويسهرون على تسييره، فقد كانوا يعتمدون على الكتائب والفرق العسكرية التي كانت تصلهم من الشرق من طرف الإمبراطور من حين لآخر ويعتمدون على الفيالق المرابطة في الولايات تحت إشراف الدوق .

كما نجد في المصادر الأثرية خاصة في الإهداءات التي تم العثور عليها في المنشآت الدفاعية، التي تذكر القائد صولومون بألقاب مختلفة فنجده يلقب تارة بالقائد العسكري (Magister Militum)، وهو ما أظهرته النقيشة التي تم العثور عليها في مدينة تبسة، كما ورد اسم القائد صولومون في النقيشة التي تؤرخ لإنشاء سور في قصر بغاي في عهد صولومون، حيث نجده بألقاب أخرى مختلفة مثل : قنصل وحاكم وقائد عسكري، مثل ما ورد في المصادر : « كمل إنشاءه (السور) على عهد حاكمينا التقيين يوستينيان وتيودورا الأجلاء الخالدين تحت رعاية صولومون القائد الأعلى العسكري القنصل سابقا والي إفريقيا الباتريسي patressi » .

ـ مهام القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب :

إذا تمعنَا في المهام التي وكَلت للقائد بليزاريوس في الشرق، نجد أنَ القائد الأعلى للجيش البيزنطي له صلاحيات عسكرية مهمَة وكبيرة في بلاد المغرب، فهو القائد الأعلى للجيش في المقاطعة والقائد الأعلى للأدواق في الولايات التابعين لها، ويرجع له دوق الولايات في كل

الأمور الخاصة بالأمن والجيش، وله مهمَة إبلاغ قادة المقاطعات العسكريين بمختلف قرارات ومراسيم الإمبراطور، وله مهمة تحديد الحاميات والحصون والقلاع على الحدود، وكذا تحديد المواقع التي تحتاج إلى ترميم .

والواضح أنَ القائد الأعلى للجيش يتم تعيينه مباشرة من طرف الإمبراطور البيزنطي وكان مقره الرسمي منذ احتلال بلاد المغرب هو نفس مقر الحاكم المدني العام أي في العاصمة قرطاج، حيث يتم التعاون بين الحاكمين المدني والعسكري لأن مهمة الطرفين تقتضي حفظ الأمن والسلم في المقاطعة .

2- منصب الدوق Duc :

نجد في المرسوم الذي بعث به الإمبراطور جوستينيان بعد استكمال القضاء على الوندال ومطاردتهم، أنه أمر بتعيين دوقا على رأس كل ولاية وعين لهم مقرات لإقامتهم، حيث جعل مقر دوق طرابلس في لبدة الكبرى، وعين دوقا على ولاية البيزاكينا وجعل مقرَه تارة في قفصة وتارة في تيلبت(المدينة القديمة) الواقعة جنوب الولاية، وجعل مقرَ دوق نوميديا في سيرتا و مقرَ دوق موريطانيا في قيصارية، إضافة إلى الدوق المعين في جزيرة سردينيا .

كما تمَ وضع قائد عسكري يشرف على حصن سبتة والأسطول الراسي في شواطئها، وذلك بهدف مراقبة مضيق جبل طارق، حيث كان هذا القائد تابع إداريا لسلطة دوق موريطانيا .

- مهام الدوقDuc :

يعيَن الدوق من طرف الإمبراطور أو من طرف القائد الأعلى للجيش بعد موافقة الإمبراطور، وهو منصب راق في الجيش وله مكانة مرموقة عند الإمبراطور، وسلطته تشمل كل الفيالق والوحدات والحاميات العسكرية في الولاية التابعة له، وهو القائد الأعلى للجيش في ولايته، وله سلطة على كل من الجيش المتحرك (Comitatus) أو الجيش المكلف بحراسة الحدود (Limitanei) .

وقد حدد الإمبراطور جوستينيان مهام الدوق في المرسوم الذي بعث به إلى بليزاريوس، حيث اقتصرت مهمتهم في الدفاع عن الولاية التي عيَنوا فيها، وحماية السكان وممتلكاتهم ومد الحدود إلى الجنوب والداخل، والسعي للوصول إلى الحدود الرومانية القديمة، أي إلى خط الليمس الروماني، وأمرهم بالرجوع إلى القائد الأعلى للجيش الذي كان مقره في قرطاج في كل ما يتعلق بالمتطلبات الضرورية من ترميم للحصون أو إعادة بناء الأسوار التي هدمت من أجل إحكام السيطرة، ومنحهم حرَية التصرف والتعامل مع القبائل المورية لإحلال الأمن و السلم .

نفهم من المرسوم أنَ الدوق كان المسؤول الأوَل على العلاقة بين الحاكم البيزنطي و القبائل المورية المجاورة، كما أن له صلاحية النظر في بعض القضايا القضائية المرتبطة بالجيش، كما

كان له مجموعة من الضباط الموجودين على رأس الكتائب المكلفة بحراسة الحدود يساعدونه في تسيير الولاية واستتاب الأمن فيها .

وقد وُسَعت مهام الدَوق في عهد موريس في ظل نظام الأرخونية، حيث امتدت سلطته إلى السلطة المدنية والتي هي سلطة الحاكم المدني، فقد أصبح يتدخل في الأمور المالية والعدالة ويعمل على جمع وجباية الضرائب المستحقة من السكان والقبائل، وله سلطة دفع رواتب الفرق العسكرية في المقاطعات .

ويمكن القول أنَ سلطة وإدارة الدوق كانت تعادل أو تفوق إدارة حكام الولايات، خاصة في فترات الحروب، للأهمية التي أولاها الإمبراطور جوستينيان بالجانب العسكري، وذلك فيما يخص التَركيبة الإدارية للمؤسسات العسكرية أو في عدد العاملين فيها، حيث استمر هذا التنظيم إلى غاية عهد موريس الذي استحدث نظام الأرخونية والذي أصبح فيه الحاكم المدني للمقاطعة يخضع للحاكم العسكري ولحكم الدوق .

ج- الفوضى العسكرية في الجيش البيزنطي :

أدَى مقتل جنديين من قبيلة الماساقيتا الهونية في الجيش البيزنطي من طرف القائد بليزاريوس بسبب إفراطهما في شرب الخمر إلى إثارة بلبلة كبيرة في الجيش البيزنطي، و أدى بعائلة وأصدقاء الجنديين إلى التَمرد على السلطة البيزنطية وأعلنوا انحلال الحلف الذي كان يجمعهم بها، الأمر الذي أدَى إلى انشقاق كبير في صفوف الجيش البيزنطي، وقد وجدت السلطة البيزنطية صعوبات كبيرة في التحكم في الوضع خاصة وأن الجيش يتألف من أجناس وقبائل مختلفة، الأمر الذي أدى إلى عدم الانضباط في العمل .

ومن أكثر المهام في بلاد المغرب التي واجهت قائد الجيش البيزنطي بليزاريوس، هو الثورات المورية والتي كان من أشدَها ثورة الاوراس بقيادة ابداس في نوميديا، و ثورة الفراكسيس في البيزاكينا بقيادة انتالاس، وهي من أقوى الثورات أيضا التي اندلعت في المنطقة بعد رجوع بليزاريوس إلى بيزنطا .

كذلك التمرد الذي حدث في الجيش البيزنطي، الذي قاده ستوتزاس (Stotzas) سنة 536م، فقد انضمت إليه وإلى الانقلاب الذي قام به كل الفئات الناقمة والساخطة على السياسة البيزنطية، من البيزنطيين أنفسهم ومن بقايا الوندال في بلاد المغرب والقبائل المورية المعادية للاحتلال، منها القائد الموري أنتالاس قائد الفراكسيس، وقد استطاع القائد البيزنطي المتمرد ستوزاس محاصرة العاصمة قرطاج، وجمع حوالي تسعة آلاف من الجنود، الأمر الذي أجبر بليزار على

الرجوع إلى بلاد المغرب والقضاء على الانقلاب الذي قام به ستوتزاس بعد فشل صولومون في القضاء على هذا الانقلاب العسكري.

كذلك ظهر تمرد آخر قاده القائد البيزنطي ماكسيميان (Maximien) وكان هذا الانقلاب في فترة حكم جيرمانوس لكنه فشل هو الأخر وتم القضاء عليه .

ومن بين الصعوبات أيضا التي واجهت الجيوش البيزنطية في بلاد المغرب، الصراع الديني بين الوندال الأريوسيين الذين أصبحوا جنودا في الجيش البيزنطي وسياسة التسامح الديني التي لم تظهر في الواقع، الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى المطالبة بالمساواة مع البيزنطيين، واغتنموا الظروف العسكرية الصعبة وثورات القبائل المورية وتم لم شملهم وانضموا الى هذه الحروب في حرب واحدة عرفت في التاريخ القديم بالحرب المورية الكبرى 544-548م .

IV. النظام العسكري البيزنطي في عهد خلفاء جوستينيان :

إذا وقفنا على الأوضاع الأمنية التي آلت إليها بلاد المغرب بعد جوستينيان أي بعد سنة 565م ، نجد أنَها عرفت اضطرابات وصراعات وحروب في البحر المتوسط وفي المناطق التابعة لبيزنطا في عهد كل من الإمبراطورين جوستان الثاني(Justin II 565-578م) و تيبيريوس (Tébirus 578-582م) ، وهو الأمر الذي سيدفع فيما بعد بالإمبراطور موريس إلى إحداث تغييرات سياسية وإدارية في بلاد المغرب مع وصوله إلى حكم الإمبراطورية البيزنطية، فنجد مثلا أنَ اللومبارديين في ايطاليا قد زحفوا على المناطق التي كانت سحت سلطة بيزنطا، كما نجد كثرة الثورات المورية في المغرب وثورات في آسيا والدانوب، أي أنَ كل المناطق التي خضعت في عهد جوستينيان ثارت وبدأت تقاوم السياسة البيزنطية بعد وفاة الإمبراطور جوستينيان سنة 565م .

حيث نجد في سنة 563م اندلاع ثورة عارمة في نوميديا بزعامة أبناء الملك النوميدي كوتزينا (Cotzinas) انتقاما لمقتل والدهم الذي قتل بقرطاج من طرف القائد البيزنطي روكاتينوس (Regathinos)، بعد أن طالب براتب سنوي والذي كانت تمنحه إيَاه بيزنطا في عهد جوستينيان جزاء الخدمات التي كان يقدَمها لها .

كما تم في حدود سنوات 569م-570-571م اغتيال ثلاث قادة عسكريين كبار بيزنطيين (تيودور (Théodore) وتيوكتيستوس (Theoctistos) و امابيليس (Amabilis)) على يد الملوك المور ، وهي الأحداث الأصعب في عهد موريس والتي حتَمت عليه إعادة تنظيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا في المناطق التي بقيت تحت سيطرته .

و من أهم الأعمال التي قام بها الإمبراطور موريس هو الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية في منصب واحد، وهو منصب الإكسرخس أو الأرخون Exarque ، حيث نجد هذا اللقب في مراسلات البابا قريقوار الأكبر فقد لقَب جينياديوس (Ginadius) ب اكسرخس أو أرخون إفريقيا وقد يكون أوَل من تقلد هذا المنصب، حيث طُلب منه سنة 591م بضرورة التدخل لمنع دوق سردينيا تيودور (Théodore) من اضطهاد رجال الدين وفقراء مدينة تورس (Turris) ، كما لقبه ب: القائد العسكري الأعلى، وأصبح بذلك القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب يحمل لقب الأرخون وله كل الصلاحيات العسكرية والمدنية في آن واحد، وأصبح بذلك الحاكم العام لبلاد المغرب تابع إداريا لسلطة الأرخون وليس للإمبراطور كما كان سابقا .

V. منصب الإكسرخس/ الأرخون (Exarchat) في المغرب القديم :

ظهر في بلاد المغرب منصب جديد مع نهاية القرن السادس الميلادي، وهو منصب يساعد والي البرايطور أو الحاكم العام (Préfet de Prétoire) حتى وإن كان منصب الحاكم العام رتبة مهمة وعالية في الترتيب الإداري البيزنطي ببلاد المغرب، إلاَ أنَه أوجد إلى جانبه منصبا جديدا وهو: منصب الأرخون (Exarque) حيث أصبح هذا المنصب فيما بعد أعلى من رتبة والي البرايطور، والسؤال الذي يمكن طرحه هل وجد فعلا هذا المنصب في بلاد المغرب؟ وفيما تتمثل وظيفة ومهام الأرخون؟ وما هي اختصاصاته يا ترى ؟

حيث إنَنا نجهل بالتحديد تاريخ إنشاء منصب الأرخون في المغرب القديم، الذي جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية، وربما أوجده الإمبراطور موريس سنة 584م للتخلص من البيروقراطية التي انتشرت في أوساط سابقيه، فعمل على انتشالها وإصلاح ما فسد في بلاد المغرب، أمَا المناصب الإدارية الأخرى ومنها مهام الولاة أو حكَام المقاطعات فقد أبقى عليها كما كانت في عهد سابقيه، وكانوا تابعين مباشرة للأرخون بدل الحاكم العام. كما نستنتج من الرسالة التي بعث بها البابا قرقوري الكبير (Grégoire le Grand) سنة 591م إلى جينياديوس (Ghennadius) القائد الأعلى للجيش ببلاد المغرب، وقد حملت اسم إكسرخس إفريقيا (Exarchus Africae) ، الأمر الذي يوحي بوجود هذا المنصب في بلاد المغرب، غير أنه و إلى غاية سنة 585م كان منصب القائد الأعلى للجيش موجودا ببلاد المغرب (Maitre des Milices d'Afrique) ، وهو ما يؤكد أن منصب الأرخون لم يكن موجودا قبل هذا التاريخ، وقد تم إنشائه في ما بين 585م و 591م .

كان للأرخون في بلاد المغرب طابع عسكري دون الطابع المدني في بداية الأمر، وبمرور الوقت أصبح الحاكم العام تابع مباشرة للأرخون وليس للإمبراطور البيزنطي، وأصبحت سلطة الأرخون تشمل السلطتين المدنية والعسكرية، و أصبح الأرخون عبارة عن ممثَل أو نائب

الإمبراطور في بلاد المغرب، والممثَل المباشر للإمبراطورية البيزنطية في المنطقة، مقره في العاصمة قرطاج، وأصبح بذلك القائد الأعلى للجيش البيزنطي، كما كانت له سلطة دينية وله صلاحيات كثيرة في حل النزاعات الدينية بين رجال الدَين، وله سلطة الرقابة على القساوسة، و توسعت سلطته إلى أن شملت كل الميادين، حيث نجد في سنة 602م اندلعت ثورة أهلية في بيزنطا في عهد الإمبراطور فوكاس (Foucas) وكان هيرقليس (Héraclis) أرخونا على بلاد المغرب حيث وصل هذا الأخير إلى حكم الإمبراطورية وأصبح إمبراطور بيزنطا بعد وفاة الإمبراطور فوكاس سنة 610م .

الأمر الذي يوحي بأن الأرخون يحتل مكانة كبيرة عند الإمبراطور وفي السلم الإداري البيزنطي، فهو الممثل الرسمي والمباشر للإمبراطور في المقاطعة التابعة له، حيث وصف بجميع الألقاب الكبيرة مثل: العظمة والفخامة، وهي نفسها التي كان يلقب بها الحاكم العام في بلاد المغرب، الأمر الذي يبين ويؤكد مكانته الاجتماعية وسلطته الواسعة، فهو المسؤول عن الجانب المالي والمشرف على الخدمات العامة، ويتلقَى مراسيم ومراسلات الإمبراطور و يعمل على تنفيذها .

كما كان للأرخون سلطة تعيين الموظفين الإداريين والعسكريين ورجال الدين، وهو الذي يقود الجيوش في الحروب إذا اقتضى الأمر ، وله مساعدين خاصين، كما يحدد مقدار الأراضي التي يجب على الجنود زراعتها، وله مهمة التفاوض مع القبائل الثائرة و سلطة مراجعة الأحكام القضائية ورئاسة الجلسات، وهو المسئول على عملية فرض الضرائب وجبايتها، وله سلطة مراقبة صلاحيات الولاة، كما يعتبر حامي الديانة المسيحية والمدافع عنها أمام المذاهب الأخرى ، وأول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب هو الأرخون غينايوس(Ghinadus) .